نحن ... وقوانا الكامنة 1

الهمة ..

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى أآله وصحبه ومن والاه بعد

يسأل الكثير من الأبناء عن سر عدم إقبالهم على العلم أو الدعوة، أو كليهما، والركون إلى ما تقذفهم به رياح الدنيا من مشاغل يومية، في خدمة الأهل والولد. ما هو السبيل إلى الخروج من دوامة العيش الطاحنة، التي تمزق أيامهم تمزيقاً، لا يستطيعون لها جمعاً، ليصنعوا من أنفسهم أفضل مما هم عليه.

مفتاح النجاح، ومن ثم النجاة، يكمن في عدة صفات يجب على الحيّ القادر أن يحوطها بالرعاية، وأن يصبر على تغذيتها من عقله وروحه ووقته، لتثمر فيه ما يعينه على قصده وييسر له أمره.

وعلى رأس تلك الصفات، الهمّة .. نعم الهمّة، ثم الهمّة.

والهمّة مشتقة من همّ، أو هَمَمَ، أيّ أقبل على الشئ راغباً فعله رغبة محققة مؤكدة، أو هي مقدمة الفعل ذاتِه بقوة دافعة غاصبة للإرادة العكسية، المانعة منه.

كذلك الهمة، موصولة بمعنى الهَمْ، أي انشغال البال والإحاطة بالفكر بما يكون من نتيجته الحزن والقلق.

فالهمة، إذن، تُعنَ دائماً بالإقدام، نية وقصداً، أو توجها للفعل، والانشغال بقضائه، انشغالاً يأخذ اللبّ، ويملأ القلب.

والهمّة قرينة العزم، وإن اختص العزم بالنية القوية الدافعة، دون إقدام، فهي أعم منه، وهو أخص منها.

الداء الساري في أبناء الجيل المترواح بين العشرين والخمسين عاماً من العمر اليوم، هو ضعف الهمّة، أو بالأحرى، انعدامها. لا من حيث إرادة العمل، بمعنى محبة أن يفعله المرء، أو التفكير فيه بشكل دائم. فهذه كلها مقدمات العزم وسوابق الهمّة، بل بمعنى إتمام ما عزمت عليه النفس ثمّ همّت بها نفسه بها، فهمّ بها.

المقصود هو إشعال تلك الجذوة التي توقد في قلب المرء، فتولّد حرارة وطاقة تدفعه للعزم ثم الهمّة، فالعمل، لا يأبه لشئ، ولا يراعي شيئاً، بل كلّ شئ غير ما اتقدت جذوته في قلبه مطروحٌ جانباً، حتى إشعار آخر!

الهمّة هي دوام اشتعال تلك الجذوة المولّدة للطاقة الحركية، عملاً أو فكراً أو اطلاعاً، بحيث تصبح هي القوة المسيِّرة للمرء، من داخله، لا ما ترميه به رياح الدنيا من عاديات الزمن.

وهذه الهمّة، إن اشتعلت، ونُفخَت فيها الروح، قلّما تنطفئ، وقلما تخبو، وقلما تندثر. بل تصبح طبعاً ثابتاً لا يقبل أعذاراً، بل ولا يعرفها، بل ولا حتى يلحظ موضوعاتها. فالمُهتم، ذو الهمّة، لا يرى عوائقاً، بل يرتفع ببصيرة إرادته فوق العوائق، فيرى طريقاً ممتداً ممهداً، يسير فيه متلقياً ومتعلماً، ثم هادياً ودليلاً.

فأنت ترى ضعيف الهمة، يرقب الكتاب بطرف عينه، لحظات قصيرة، يجد خلالها مشغلاً آخر يشغله عن القراءة، فيتثاءب كالمغلوب على أمره، وينشغل عن القراءة بما عداها**!**

أما صاحب الهمة، فينظر إلى الكتاب بشوق وتلهف، كتلهف الحبيب لوصال حبيبه، ثم ينفض عنه ما يشغله، لا بمدافعة أو مغالبة، بل بعفوية وتلقائية، ثم ينهض فيحمل كتابه ويبدأ رحلته معه، غير عابءٍ بما نفض عليه الزمن من غُبار المَشاغل وتراكمات الحوادث.

تلك هي الهمّة التي يحتاجها من يريد أن يسلك طريقاً، أي طريق، فيكون فيه ناجحا منتجاً، لا هيّاباً مترددا.

إن أردت، بُنيّ المسلم، أن يكون لك شأن في الدعوة إلى الله، وأن تكون دعوتك على بصيرة، ثم آنست من نفسك القدرة العقلية والاستعداد النفسي للقيام هذا العبء وحمل تلك الأمانة، فعليك بالهمّة، فهي أداتك حين تعز الأداة.

وما ينبؤك مثل خبير

د طارق عبد الحليم

نحن ... وقوانا الكامنة 2

الأمانة ..

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد

الأمانة صفة جامعة مانعة لتعريف الرقيّ الإنساني الحضاري الأخلاقي الحق. وهي في القلب من صفات المسلم السنيّ التقيّ، المحب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم. فالأمانة هي التكليف العام الذي ابتلى به الله سبحانه عباده، رغم نوء السموات والأرض والجبال من حملها ورعايتها حق الرعاية، فقال سبحانه "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ " الأحزاب 72. والتأمل في الآية يخرج لنا من ذخائرها ما يفيد ويشفي.

فإن تلك الأمانة، هي عبادة الخالق سبحانه، بكلّ ما تعني كلمة العبادة من معاني الطاعة والولاء والتنسك، بعد التحقق بمعرفة الرب سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى. ولأن الله سبحانه كتب على نفسه أن "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا" البقرة 286. فهذا يعني أنه رغم نوء السماوات والأرض والجبال عن حملها، **فالإنسان لا يزال في مقدوره ومُكْنَته أن يحملها**، وإلا ما حمّلها الله إياها. فهي تكليف بالممكن لا بالمستحيل.

ثم إن الأمانة ليست لوناً واحداً، بل تجدها في كل نشاط إنسانيّ، سواء في تصرف الجارحة أو لفظة اللسان، أو خلجة القلب.

لذلك فقد أمرناً الله سبحانه بأدائها على أكمل صورة، فقال سبحانه "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ" النساء 58، لا مزاح ولا تهاونٌ في " يَأْمُرُكُمْ". فتأدية الأمانة إلى أهلها، تشمل عدم أكل أموال الناس بالباطل، وحفظ العارية، وردّ الدين، ثم الحكم بالعدل، إذ القضاء أمانة من الله في يد القاضي، والحكم أمانة من الله في يد الحاكم. و ال "و" هنا قبل "إذا" ليست للمغايرة، بل للتخصيص من عام، فتأدية الأمانة كلٌّ، والحكم بالعدل مخصص منها لعظم شأنه وجلال أثره.

ومن صور الأمانة، صدق اللسان بصدق الوعد، والحفاظ على الموعد، والتحدث بالطيب من القول، إلا من ظُلم. فالمظلوم مكلوم، والمكلوم يئن أنين المتوجّع المقهور، فيحق له الشكوى والعتب والردّ بالمثل.

ومن صور الأمانة غض البصر، حفظ حق الجار، وتنقية القلب من الحسد، فهي أمانات تجب مراعاتها، من حيث حق البشر فيها علينا.

ومن صور الأمانة حفظ المرء حق نفسه عليه، من تجنب ما يؤذي ويُهلك، في أي قول أو عمل أو نية.

فالأمين طاهر النفس، نقي القلب واليد، يبيت ليله مرتاح الضمير، إذ لم يسلب أحد شيئاً، ولم يعتد على أحدٍ بأخذ ما ليس له، بغير حق.

والأمانة والحق متلازمان تلازم العلة والمعلول. فالحق لا يوجد، ولا يُتصور، بلا أمانة، والأمانة تستلزم إقامة الحق علة له.

فحافظ، أيها القارئ الكريم على تلك الصفة التي أولانا الله إياها، ثم حَمَلْنَاها، رغم أن منا الظلمون الجاهلون، وهي مصدر قوة هائلة في مواجهة عتو الشيطان والرغبات الخسيسة. ولا تّخُنْ، ولا تصاحب خائنا "إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ" الحج 38.

ولا ينبؤك مثل خبير

د طارق عبد الحليم

نحن ... وقوانا الكامنة 3

العزة ..

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد

نعم العزة بالله .. العزة لله .. هي قوة هائلة، عنيفة في حين الشدة والصدع، رئيفة في حين التواضع والصبر.

العزة، تأتي من معنى العلوّ والشموخ والتأبي، كلها في كلمة واحدة.

فالله سبحانه هو العزيز، وهو العليّ، وعباده هم الأعلون "وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" آل عمران 139. والشرط هنا واضح منصوص " إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ"، فلا عزة إلا بالله، وبالإيمان بالله وبرسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالعزة لا تأتي من جناب الله سبحانه، وهي كلها له، وكلها منه "الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا" النساء 139.

فانظر كيف ربط الله كلّ العزة به، ونفاها عن الكافرين، أو من يتخذ الكافرين أةلياء، فهم سواء في الكفر، نقياً تاماً قاطعاً. والاستفهام هنا للاستنكار، أي، ألا تعقلون يا من تتخذون الكافرين أولياء؟ إلا تعرفون أنه لا عزة لكم بهم، بل العزة هي لله جميعا، ومن ثم لمن تبع دينه، وقطع أواصر الصلة، كل الصلة، بالكافرين.

ويؤكد الله سبحانه هذا المعنى مرة أخرى، بمل وضوح وأعلى بيان "مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا" فاطر 10. فالعلو والتأبي والعزة كلها، في نفض الأيدي والقلوب من الكافرين، وحب المافرين، وولاء الكافرين، والصفّ مع الكافرين. الغعزة في صفاء التوجّه لله وحده. إذ كيف تكون عزة لمن اتخذ من عبد حقير كفر بالله سبحانه ولياً وخليلاً، يتولاه من دون المؤمنين. بل يستقوى به على المؤمنين.

انظر – يا رعاك الله – إلى حال حكام العرب، الموالين للكفار، بلا قيد ولا شرط، كيف يقفون بين أيديهم أذلاء مطأطئ الرأس، منحني الظهر، مكسوري العين، سليبي الإرادة! هذه ذلة العبد أمام العبد، أما من انتسب بعزته لله سبحانه، فرأسه مرفوع وظهره مستو، وعينه حديد، وإرادته صلب لا ينكسر.

ثم هذا حال سحرة الحكام وزبانيته، لا عزة لهم، بل لا يعرفون ما هي العزة أصلاً ليبحثوا عنها! بل هم، بتزلفهم ونفاقهم ضعفاء مهانين هينين على الله وعلى الناس، مهما عتوا بسلاح أو بمال أو باعتقال وتعذيب.

فلا تحن رأسك أيها المسلم العزيز، إلا لله، وكن عزيزا به، يَذلُ أمامك الجبابرة، فمعك جبار السموات والأرض.

ولا ينبؤك مثل خبير

د طارق عبد الحليم

7 يونيو 2019